

التكوين المسرحي الأكاديمي في الجزائر

قراءة في طرق التعلم وتحديات التطوير

Academic Theater Training in Algeria: A Study of Learning Methods and Development Challenges

الحبيب سوالي*

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

elhabib.soualmi@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/16

تاريخ الاستلام: 2025/03/06

ملخص:

يتناول المقال قراءة في أسس التكوين الأكاديمي في المسرح الجزائري وطرق التعليم والتعلم، حيث سنتبع أهم المحطات التاريخية للتكوين المسرحي في الجامعة الجزائرية، مركزين على مناهج ومنهجية تدريس المسرح، كما سنتطرق في المقال إلى أهم فرص النجاح وكذا التحديات التي تواجه التكوين الأكاديمي في المسرح الجزائري، كما تبرز هذه الدراسة المعوقات الموضوعية والذاتية التي تقف في وجه تطوير الدراسات المسرحية الأكاديمية، لنوضح أخيرا الاستراتيجيات الناجعة لنجاح التكوين الأكاديمي في الجامعة الجزائرية. **الكلمات المفتاحية:** التكوين المسرحي، المسرح الأكاديمي، الجامعة الجزائرية، المقاربة بالأهداف، المقاربة بالكفاءات.

Abstract:

This article explores the foundations of academic theater training in Algeria, examining teaching and learning methods. It traces the key historical milestones of theater training within the Algerian university system, focusing on curricula and teaching methodologies. The article also addresses the main opportunities for success, as well as the challenges facing academic theater training in Algeria. This study highlights the objective and subjective obstacles hindering the development of academic theater studies, and ultimately outlines effective strategies for the success of academic training within the Algerian university.

Keywords: Theater Training, Academic Theater, Algerian University, Objectives-Based Approach, Competency-Based Approach.

. مقدمة:

يعد التكوين المسرحي حجر الزاوية في النهوض بمهنة المسرح جماليا وفنيا وصناعيا وحتى جماهيريا، فهو الذي يتحكم في جودة الإنتاج المسرحي وكذا قدرة هذا الإنتاج على بلوغ الأهداف من وراء تعليم وتعلم المسرح. كما تعتبر طرائق التكوين ومدى جودتها المحدد الأساسي لمدخلاته ومخرجاته، فإذا كانت هذه الطرائق فعالة وعلمية وموضوعية ستكون مدخلات ومخرجات التكوين المسرحي إيجابية لا محالة، أما إذا كانت طرائق التكوين فيها خلل مفاهيمي وبيداغوجي علمي، فإن المخرجات ستكون سلبية.

تتناول هذه الدراسة منهجية التكوين الأكاديمي في الجامعة الجزائرية، وكذا طرائق التكوين، محاولة أن تتبع تاريخ التكوين وعوامل القوة والضعف فيه، وكذا التحديات الموضوعية والذاتية التي تواجه استراتيجيات وأهداف التكوين الأكاديمي في المسرح.

قبل تناول تحديات وأهداف التكوين المسرحي في الجامعة الجزائرية، يجب أن نفهم كينونة التكوين في مجال المسرح أولا، ثم معرفة ماهية المسرح الأكاديمي إجرائيا باعتباره علما يقوم على منهجية علمية محددة؟ ثم ما هي أهم التحديات التي تواجهه وكيف يمكن بناء مخطط موضوعي نبني من خلاله مسرحا أكاديميا يفيد ويستفيد؟

نحاول من خلال الإجابة عن هذه التساؤلات الوصول إلى مجموعة من الأهداف أهمها تحديد ماهية التكوين الأكاديمي في المسرح الجزائري، وطرائق ومناهج التعليم في تخصص الدراسات المسرحية، كما نهدف إلى الكشف عن أهم التحديات التي تواجه العملية التعليمية في تخصص المسرح، لنحاول إيجاد حلول ووضع استراتيجيات موضوعية لتطوير التكوين في المسرح الأكاديمي في الجامعة الجزائرية، ولنقترب من هذه الأهداف اعتمادنا في الدراسة منهجا تاريخيا نوضح من خلاله المراحل التاريخية التي مر بها التكوين المسرحي الأكاديمي، معتمدين على مقارنة نقدية تحليلية نبغي من خلالها الوقوف على مكان القوة والضعف في العملية التعليمية التعلّمية في مجال الدراسات المسرحية.

2. التكوين المسرحي:

1.2 . ماهية التكوين المسرحي الأكاديمي:

يعتبر التكوين في مجال المسرح عامة والمسرح الأكاديمي بصفة خاصة مرتبطا بالفرس في نجاح العملية التعليمية التعلّمية، فالتكوين المسرحي هو " الانتقاء والتنسيق تبعا لبعض المبادئ، وهو ضرورة أساسية في الفن وفي معظم ألوان الجمال الطبيعي، وتسمى عملية الانتقاء والتنسيق في المسرح باسم التكوين، وهو عملية جد ضرورية في المسرح، فبواسطته يتم توضيح القيم العقلية والعاطفية.... فإذا كان ممتعا خلق بالضرورة قيما جمالية"¹، كما يعرفه ألكسندر دين بأنه: "الترتيب المعقول للناس الموجودين على خشبة المسرح"²، هذا التعريف الذي يقدمه ألكسندر دين حول مفهوم التكوين في الإخراج المسرحي، يمكن سحبه على مفهوم التكوين في العملية التعليمية برمتها في مجال المسرح، فالتكوين في المسرح الأكاديمي يجب أن يكون حاملا لمعنى الترتيب والتنسيق بين مختلف مكونات الأسرة الجامعية إدارة مكونين ومتكونين وكذا عوامل أخرى داخلية وخارجية تساعد على جودة التكوين في مجال المسرح الأكاديمي.

ولا غرو إن قلنا أن المسرح علم متكامل وقائم بذاته، بل يحمل في طياته تشابكات مع علوم ومعارف أخرى تشترك معه نظريا أو تجعله محطة للتجريب علميا، كعلم النفس والفلسفة، فالمسرح هو المدرسة التطبيقية للفلسفة، لأنه يظهر

الفكر الفلسفي المجرد مرئيا أمام المشاهدين، إذن فالمسرح علم من علوم الإنسان يجب بالضرورة أن يتم تعلمه عن طريق التكوين العلمي القائم على المنهجية والمنهج، فلا يمكن الاعتماد فقط على مواهب الأفراد، لأن الصناعة المسرحية تحمل بين طياتها مجموعة من المعارف المتجاورة بداية من الأدب ومرورا بالصورة والفنون التشكيلية وصولا إلى فن العمارة والموسيقى وحتى الرقص وانتهاء بالعملية الإنتاجية والتوزيعية.

محصلة القول أن التكوين الأكاديمي يجب أن يكون علميا وحاملا لقيم أخلاقية وجمالية تنزو إلى السمو بالفعل المسرحي في أي مجتمع أو أمة تريد تطوير أفرادها حضاريا وجماليا، ويهتم هذا الأمر العمل على إيجاد حاضنة علمية أكاديمية تساعد على تطوير هذا الفن ليصبح علما قائما بذاته يفيد ويستفيد، هذه الحاضنة لا يمكن أن تكون غير الجامعة التي تحمل لواء التكوين للقيام بهذا الفن معرفيا في أسوارها واقتصاديا واجتماعيا خارج أسوارها.

2.2 لمحة تاريخية عن التكوين المسرحي في الجامعة الجزائرية:

بدأ التكوين المسرحي في الجزائر انطلاقا من النوادي الثقافية والجمعيات المسرحية التي عرفت الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية واستمرت في التكوين الآني من أجل إنتاج الأعمال المسرحية، ولم يكن الهدف منها علميا وأكاديميا، بل كان هدفها فنيا براغماتيا يرنو إلى فهم أولي لكيفية كتابة وإخراج عمل مسرحي معين، فلم يكن التكوين مرتبط بمنهج دراسي مضبوط له قواعده وأسس الأكاديمية، وعلى الرغم من أنه لا توجد دراسات علمية تقدم لنا طرائق التكوين في هذه المرحلة، غير أن الأكيد هو استثمار قادة الثورة في قطاع التكوين بصفة عامة والتكوين في المجال الفني والمسرحي بصفة خاصة، فقد كونت جبهة التحرير الوطني عددا لا يستهان به في مختلف مناحي الحياة الثقافية، وسعت جاهدة رغم الظروف التي كانت تواجهها إلى تكوين يسائر التنمية في جميع الميادين³، واستمر هذا الأمر حتى بعد الاستقلال وإلى يومنا هذا، حيث نشهد تكوينات قصيرة على هامش الأيام والمهرجانات المسرحية، غالبا ما يطلق عليها مصطلح الورشات التكوينية سواء في الكتابة الدرامية أو الإخراج أو التمثيل، وغيرها من مهن فنون العرض المجاورة، هذه الطرائق لا تعتمد على منهج ولا على منهجية علمية، بل تكون في غالب الأحيان ارتجالية وهدفها يكون إما ثقافي أو اجتماعي أو سياسي.

بدأ التكوين المسرحي الأكاديمي في الجزائر بصفة فعلية رسمية، منذ تأسيس المعهد العالي للفنون الدرامية بالعاصمة سنة 1964 تحت وصاية وزارة الثقافة، وقد تلقى فيه مجموعة من الراغبين في ميدان الفنون تكوينات مختلفة في مجال الدراسات الدرامية وبالأخص في تخصص فن التمثيل على غرار التخصصات الأخرى التي كان يضمها المعهد للطلاب، وقد برزت مجموعة من الممثلين والسينوغرافيين الذين تلقوا تكوينهم الأساسي بالمعهد، وظهر بعد ذلك في جامعة وهران معهدا للفنون الدرامية سنة 1986 تحت مسمى دائرة النقد والأدب التمثيلي، تحت وصاية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. تبنى سياسة التكوين في مجال المسرح، وكان يغلب على هذا التكوين الشق النظري بحكم الطابع البيداغوجي المفروض من قبل الجهة الوصية، غير أنه استثمر بفعل طاقات بشرية فردية في التكوين التطبيقي. استمر هذا المعهد الذي تغير اسمه إلى قسم الفنون بتخريج العديد من الدفعات في مجال الدراسات النقدية بشقيها النظرية والتطبيقية. وظل هذا القسم هو الوحيد في الجامعة الجزائرية الذي يقدم تكوينا أكاديميا نظريا وتطبيقيا في المسرح والفنون الدرامية إلى غاية سنة

2008 حينما تم اعتماد نظام. ل.م.د. (ليسانس، ماستر، دكتوراه) فتوالت فتوحات جديدة لأقسام المسرح بالجامعات الجزائرية لتعميم التكوين الدرامي بعدد التخصصات والمهن⁴.

مع ظهور النظام الجديد بدأت الجامعات الجزائرية تستقطب تخصص المسرح أكاديميا تحت مسمى الفنون الدرامية فظهرت أقسام عدة في مختلف جامعات الجزائر، بدأت بجامعة مستغانم التي بدأ التكوين فيها في تخصصي المسرح والسينما ابتداء من سنة 2008، ونفس الأمر مع جامعة سيدي بلعباس وجامعة سعيدة، وفي سنة 2010 بدأ التكوين في شعبة الفنون الدرامية وبالضبط تخصص المسرح في قسم الفنون بجامعة تلمسان والأمر نفسه في جامعة الجلفة. وفي سنة 2013 تم افتتاح تخصص في قسم الأدب العربي بعنوان الفنون الدرامية في جامعة معسكر، ثم في سنة 2014 ظهرت كلية الفنون والثقافة في جامعة قسنطينة التي بدأت في التكوين في تخصص المسرح في نفس السنة، بعدها في سنة 2014 اعتمدت جامعة باتنة تخصص الفنون الدرامية كتخصص أكاديمي عندما تم افتتاح قسم الفنون بالجامعة، وفي سنة 2017 اعتمدت جامعة الجزائر تخصص الفنون الدرامية كتخصص أكاديمي⁵.

3 منهجية تدريس المسرح باعتباره علما:

إذا تحدثنا عن المسرح أكاديميا فإنه يقوم على منهجية معرفية ومناهج بحثية متكاملة، وبهذا يقوم المسرح نظريا على منهج تعليمي يوازن بين المواد النظرية والمواد التطبيقية، فالمنهج التعليمي كما يقول عنه أبو الحسن سلام هو: "دستور العملية التعليمية المقدس.... وغياب المنهج كغياب العمود الفقري عن الجسم"⁶، نخلص من خلال هذا القول أن المسرح الأكاديمي يجب أن يكون علما يحتوي على مواد علمية موضوعية، كما يجب أن يحمل هم القضايا الفكرية والاجتماعية والإيديولوجية لمجتمع ما.

وإذا نظرنا من جهة أخرى إلى المنهج باعتباره منهجا تربويا فيمكن تعريفه مفاهيميا بأنه "الترجمة العلمية لأهداف التربية وخططها واتجاهاتها في كل مجتمع"⁷، فالمنهج المسرحي يجب أن يكون علميا وتربويا في نفس الآن، حتى يكون نظاما علميا يندرج تحت المنظومة التربوية العامة في مجتمع معين، تتكامل فيه المكونات العلمية والتربوية بصورة تبادلية تتجلى في الأهداف التعليمية والمحتوى الدراسي وأساليب التدريس⁸.

يمكن القول انطلاقا من هذه التعريفات أن المسرح باعتباره علما يجب أن يعمق الأفكار والمعارف حين يتناول موضوعا معيناً خدمة للعملية التعليمية بين المرسل (المكون) والمستقبل (المتكون)، هذه العملية يجب أن تأخذ في حساباتها الطلبة وقدرتهم على تحصيل الهدف من هذه العملية التعليمية، ويحصل ذلك من خلال التحديد الدقيق للمواد المدرسة في منهاج تخصص المسرح⁹.

ولنصل إلى هذا المستوى يجب تحديد الوسائل المادية والبشرية التي تساعد على إيصال المفاهيم المسرحية بطريقة سلسلة إلى المتكون، هذه الوسائل هي وسائل مادية تتمثل في المراجع والمصادر، الصور والنماذج المرئية والأجهزة التي تساعد على إيصال الأفكار إلى المتعلم أو المتكون¹⁰.

ولا غرو إن قلنا كذلك أن أهم وسيلة في تعلم المسرح هو الكيفية أو الطريقة التي يعلم بها المكون المتكون، من خلال أساليب إيصال المعلومة إلى المتلقي أو المتعلم، وهذه الطرائق تختلف باختلاف المدارس التكوينية بيداغوجيا فهناك المقاربة بالأهداف والتي تقوم على العمل من أجل إحداث تغييرات إيجابية في سلوك المتعلم نفسيا وذهنيا وفكريا،

باستخدام عناصر الملاحظة وقياس مدى تحقيق الأهداف المرجوة¹¹، وهناك المقاربة بالكفاءات والتي تعني ذلك السلوك المركب والمنظم والذي يتطلب تعبئة قدرات ومهارات في المجالات المعرفية والمهارية والوجدانية، ويمكن أن نضيف لها المهارات الفنية والجمالية¹².

تتمأسس العملية التكوينية على ثلاثة أوضاع هي المعلم والمتعلم والمعلومة أو ما يمكن أن نسميها بالمثلث التعليمي¹³، لكن يبقى المكوّن هو حجر الزاوية في هذه العملية التعليمية التعلّمية، فهو الذي يقدم الفكرة ويشرحها ويوصلها إلى ذهن المتعلم، هذا الأخير يجب أن يتمتع بالتركيز والقدرة على الفهم والتحليل وطرح التساؤلات التي تثير النقاش نظريا وتطبيقيا، فهدف العملية التعليمية في المسرح هو المعرفة والتربية والذوق الجمالي، لأن المسرح جزء لا يتجزأ من العملية الفنية حتى وإن كان يقدم بطرق ووسائل تؤطره علميا وأكاديميا.

4 التكوين المسرحي الأكاديمي في الجامعة الجزائرية عوامل القوة ومبررات التواجد:

إن من أهم المخرجات والنتائج الإيجابية التي كانت نتيجة انتهاج قطاع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر سياسة التكوين في مختلف الميادين عامة وميدان الفنون بصفة خاصة هو المساهمة في انتشار أقسام الفنون عبر مختلف جامعات الجزائر، حيث تحصى الجامعة الجزائرية عشرة أقسام منتشرة من شرق الجزائر إلى غربها. وقد استطاعت هذه الأقسام استقطاب أعداد لا بأس بها من الطلبة المتحصّلين على شهادة البكالوريا، كما تم فتح مجال التكوين في هذه الأقسام في المراحل الثلاثة (ليسانس - ماستر - دكتوراه)، ما أدى إلى تخرج عدد معتبر من الطلبة الذين درسوا تخصص الفنون الدرامية أو الدراسات المسرحية في الجامعات الجزائرية. إضافة إلى هذا فقد ظهر إلى الوجود البحثي عدة مخابر بحث في الفنون عامة والمسرح بصفة خاصة في بعض الجامعات الجزائرية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أقسام الفنون الموزعة عبر مختلف جامعات الوطن تحفل بكفاءات متباينة وإطارات قد تسهم إذا توافرت الظروف في الرفع من قيمة التكوين المسرحي في الجزائر، كما لا يمكن إغفال وجود الهياكل رغم احتياجها للتكييف والمواءمة، وكذا الاهتمام المتزايد للشباب بالتمثيل والإخراج، خاصة مع الانفتاح الذي شهده ميدان الإنتاج السمعي البصري وتأسيس القنوات التلفزيونية الخاصة¹⁴.

نافذة القول أن التكوين في المجال المسرحي في الجزائر يحمل في عمقه نواة للتطور والرقي، وهذا ما يجب أن يكون، لأن المجتمعات العصرية في أمس الحاجة إلى مختلف التعابير الفنية التي تسهم في إزدهارها، ومن حقنا أن نظور أساليب التعبير، ونحسن برامجها، ونقنن تسييره، ولا يجب أن نسمح بإلغائه كما حدث مع قسم الفنون في جامعة باتنة الذي تم افتتاحه سنة 2014، ولكن تم غلق أبوابه سنة 2020 من دون أسباب موضوعية، فالتعبير الفني في أي مجتمع هو المرأة العاكسة لمستواه الثقافي والفني، وهو الذي يبرز أصالة مجتمع ما وقوة شخصيته وعبقريته¹⁵.

5 إشكالية التكوين المسرحي في الجامعة الجزائرية وأسباب الضعف:

إن الغاية والهدف من أي علم أو منتج مهما كانت صيغته هو الوصول إلى المستهلك أو المتلقي، وتظهر قيمة هذا المنتج بمدى قدرته على الوصول إلى مستوى من الإتقان يجعله محل رضا من طرف المستهلك، وفي المسرح محل ثقة من طرف المتلقي، ولا يمكن الوصول إلى درجة إرضاء المتلقي إلا إذا كان التكوين ذو جودة عالية نظريا وتطبيقيا، باختبار الفئة التي نكوّن معرفة أهداف التكوين ثم استقراء طرائق هذا التكوين وأساليبه وتحديد الكادر البشري الذي يؤدي مهمة التكوين.

إذا أردنا أن يكون للتكوين نتائج مائزة وفريدة من نوعها يجب أن نربطها بدون أي شك بالوسط الجامعي، فالتكوين لا يمكن أن يكون إلا جامعيًا أكاديميًا، لأنه يركز على التحكم في العلوم والتكنولوجيا، أكثر من ارتكازه على المعرفة التقنية، فحامل شهادة الليسانس في الدراسات المسرحية أو الفنون الدرامية أو المهن المرتبطة بفنون العرض المسرحي يجب أن تكون له معارف علمية ومعلومات تقنية متعلقة بالأعمال المسرحية، ومعلومات بيداغوجية وأخيرا مفاهيم منهجية في التخصص¹⁶.

إن أهم عوامل الضعف في التكوين الأكاديمي المسرحي في الجامعة الجزائرية بعد أزيد من ربع قرن على تأسيس أول قسم للمسرح في الجامعة (قسم الفنون وهران 1986) هو طغيان الجانب النظري على الجانب التطبيقي في كل أقسام الفنون في الجامعة الجزائرية، وكأن تخصص المسرح يحتاج إلى التلقين لا إلى التعلم عن طريق المشاركة بين المعلم والمتعلم، فأستاذ المسرح يجب أن لا يكون مكتفيا بتقديم معلومات نظرية في مجال المسرح، بل يجب أن يكون دوره تكوين متخرج يدرك قيمة العمل المسرحي فكريا وتقنيا.

وفي جانب آخر فإن انعدام الإمكانيات المادية التي تساعد على العمل التطبيقي (انعدام خشبات المسرح، انعدام الوسائل المسرحية... الخ)، حيث تحصى الجامعة الجزائرية عشرة أقسام كلها لا تتوفر على خشبة مسرح للتدريبات باستثناء كلية الثقافة والفنون بقسنطينة. يؤدي هذا النقص بالضرورة إلى تكوين أعرج في تخصص حساس لا يؤمن بالنظرية فحسب بل يؤمن بتمارز النظرية والتطبيق.

والأمر الأكثر خطورة يكمن في ضعف المكونين في الجانب التطبيقي، حيث نجد عدد من الأساتذة متحصلين على شهادات ماجستير ودكتوراه في تخصص المسرح ولكن معلوماتهم كلها نظرية، لأنهم لم يمارسوا المسرح لا أثناء تكوينهم في الجامعة ولا من خلال الاحتكاك بالمسرحيين خارج الحرم الجامعي.

كما يسهم عدم توفير الإمكانيات المادية لمخابر البحث في الجامعة الجزائرية التي تهتم بالدراسات المسرحية والتي تعاني من شح الموارد المادية في ضعف نشر إنتاجاتها وإسهامها في التكوين المسرحي الجاد.

ومن أهم المعوقات الموضوعية كذلك هو عزوف الطلبة عن التوجه إلى تخصص المسرح في سنتهم الثانية من التكوين نظرا لانعدام فرص العمل في المؤسسات الثقافية والمجتمعية خارج أسوار الجامعة، حيث يتم توجيههم إجباريا إلى دراسة هذا التخصص، هذا الأمر يؤثر بصورة سلبية على منتوج الجامعة الجزائرية، فهذا التوجيه العشوائي نحو أقسام الفنون لحاملي شهادة البكالوريا دون مؤهلات فنية ولا مواهب يؤثر بالضرورة سلبا على المخرجات، كما لا يمكن نسيان نظرة المجتمع الدونية لميدان الفنون عامة وتخصص المسرح خاصة. ويمكن الحديث كذلك في هذا المضمار عن انعدام التنسيق والتعاون بين تخصصات أقسام الفنون نفسها وحتى في حال وجودها بالكلية نفسها (انعدام التنسيق والتعاون مثلا بين شعبة الفنون البصرية (التشكيلية) وشعبة فنون العرض على الرغم من وجود وشائج متينة بين الفن التشكيلي والممارسة المسرحية والموسيقى وتقنيات التصوير والعرض السينمائي).

إضافة إلى هذا نجد ضبابية في فهم الخصوصية البيداغوجية التي تميز أقسام الفنون عن باقي الأقسام الجامعية الأخرى من قبل الوزارة الوصية. وانعدام سياسة واضحة للتكوين المسرحي لدى وزارة الثقافة. إضافة إلى انغلاق أقسام الفنون على نفسها، مما جعلها غير منتجة وغير فعالة في التكوين المسرحي من الناحية التطبيقية¹⁷.

ولعل من أهم مسببات ضعف التكوين الأكاديمي في تخصصات الفنون بصفة عامة وتخصص المسرح بصفة خاصة هو العشوائية في كثير من الأحيان في تقديم عروض التكوين الخاصة بالليسانس والماستر والدكتوراه، وخاصة في مرحلة الليسانس، حيث نجد أن المكلفين بإعداد البرامج التكوينية على مستوى اللجنة الوطنية للفنون قد قدموا مرارا وتكرار عروض تكوين ما فتئوا أن أعادوا صياغتها بعد فترات قصيرة من اعتمادها من طرف الوزارة الوصية، فما إن تم الاتفاق على مقررات التأهيل سنة 2016، حتى تم تعديلها سنة 2018، ثم بعد ذلك في سنة 2022، دون تقديم خارطة طريق بيداغوجية موحدة على مستوى التكوين في مختلف أقسام الفنون في الجامعة الجزائرية، أما بالنسبة لعروض التكوين في الدكتوراه، فغالبا ما تقع في فخ التسرع في إعدادها نظرا لعدة ظروف موضوعية وذاتية، أما الموضوعية فتكمن في ضيق الوقت الذي تحدده الوزارة الوصية لإعداد عروض التكوين في الدكتوراه، وهذه إشكالية عامة لا تخص ميدان الفنون فحسب بل تخص معظم ميادين التكوين في الجامعة الجزائرية، أما الأسباب الذاتية فتكمن في عدم التنسيق بين القائمين على إعداد هذه العروض، فيحصل التكرار وعدم الجدوية في إنتاج مواضيع مفيدة أحيانا¹⁸.

6 آفاق التكوين الأكاديمي في المسرح وفرص إنعاشه:

يعتبر المسرح الأكاديمي إذا ما تم الاهتمام به كما ينبغي رافدا من أهم روافد تطوير الصناعة المسرحية والفنية في الجزائر، وقد بدأ يظهر اهتمام مؤسسات الدولة بالتخصصات الفنية من خلال مجموعة من الإجراءات إن على مستوى وزارة التربية أو على مستوى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، فعلى مستوى وزارة التربية قد تم تأسيس البكالوريا الفنية والتي يعتبر المسرح أحد أهم فروعها والتي انطلقت بالفعل منذ سنة 2022، وإذا ما تم تعميم هذه الشعبة على المستوى الوطني فستصبح أقسام الفنون هي الخزان الرئيسي للموارد البشرية التي ستعتمد عليها وزارة التربية، وهذا ما سيؤدي بالضرورة إلى انتشار أكبر لأقسام ومعاهد المسرح على المستوى الوطني، ما ينجر عنه فتح آفاق واعدة لطلبة هذا التخصص، خاصة إذا ما أصبحت هذه الأقسام تستقطب أعدادا كبيرة من الطلبة التي سوف تختار التخصص عن رغبة وليس بآلية إجبارية.

ومن منظور آخر كذلك، فإن فتح مجال التكوين في الدراسات العليا سوف يشجع الطلبة على خوض غمار البحث العلمي في هذا التخصص الذي يبقى بحاجة ماسة إلى بحوث أكاديمية تثري الساحة المسرحية، برغم كل ما يقال عن الحاصلين على هذه الشهادات التي تهتم بالجانب النظري وتهمل الجانب التطبيقي، هذه البحوث إذا ما وجدت آليات ومكانيزمات موضوعية للنشر والطباعة فسوف تسهم بالضرورة في بروز أعمال بحثية جادة تساعد في رفع القيم الفكرية والجمالية وحتى الاقتصادية على المدى المتوسط والبعيد في تخصص الدراسات المسرحية، كما لا يجب إهمال دور مخابر البحث التي تعمل على فتح آفاق علمية جديدة تعرف بالمسرح الجزائري، وتسهم في تكوين تطبيقي عملي للطلبة الباحثين الذين ينتمون إلى هذه المخابر.

وفي إطار آخر إذا ما تم تنسيق الجهود بين المعاهد والمؤسسات المسرحية التي تنتمي إلى وزارة الثقافة، مع أقسام ومعاهد الفنون التي تشرف عليها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، فسنصل حتما إلى بناء استراتيجيات واضحة المعالم في مجال التكوين المسرحي الأكاديمي. كما لا ننسى ضرورة العمل على الإشهار لهذا التخصص من خلال الملتقيات الوطنية والدولية وكذا النشاطات ذات الصلة مثل المهرجانات المحلية والوطنية والإقليمية، وإعطائها قيمتها الفنية والعلمية

لرفع من مستوى الأعمال المسرحية الأكاديمية، وكذا العمل على ترسيم اتفاقيات وطنية بين مختلف الوزارات ذات الصلة وكذا دولية من أجل تبادل الخبرات في ميدان مهن العرض المسرحي.

كما لا يمكن إغفال الحاجة الملحة إلى تأسيس مزيد من مؤسسات التكوين المسرحي ذات الطابع التعددي، منها معاهد متخصصة في تكوين التقنيين والمهن المسرحية. وكذا الإدارة المسرحية، التسيير المالي للفرق المسرحية، التسيير الإداري للمؤسسات المسرحية والإدارات الثقافية والفنية، مثل مديريات الثقافة ومديريات الشبيبة والرياضة¹⁹.

7 عوائق التكوين الأكاديمي في الجامعة الجزائرية:

يؤكد مصطفى كاتب أن الهدف الأساسي من التكوين في الدراسات المسرحية هو تمكين الحاصلين على شهادات الليسانس مستقبلا من الإطلاع على كل المعارف والمهارات التي تتضمنها مختلف أنواع الأنشطة المسرحية²⁰، ولكن ما يعيق الوصول إلى هذا الهدف في رأينا هو قلة الاهتمام بالتكوين المسرحي إن على مستوى وزارة التعليم العالي أو على مستوى وزارة الثقافة والفنون، فهو في آخر اهتمامات الجهات الوصية نظرا لمجموعة من المعطيات الموضوعية والذاتية، أما الموضوعية فهو عدم إثبات أهل التخصص خاصة على مستوى وزارة التعليم العالي لقدراهم في الدفع بهذا التخصص إلى آفاق أرحب، اعتقادا منهم أنه تخصص نظري وهو على عكس ذلك تماما، كما أن ضعف الميزانية المخصصة للدراسات المسرحية لها أثر سلبي في تطوير الحركة المسرحية إن على مستوى التكوين الأكاديمي أو على مستوى النشاطات الفنية ذات الصلة، وبالنسبة لما يتعلق بوزارة الثقافة، فإن التأخر في إعداد القوانين الأساسية للفنانين المسرحيين يجعل توافد الطلبة على هذا التخصص ضعيفا كما وكيفا، ونقطة مهمة أخرى متعلقة بعالم الشغل وهو عدم وجود مؤسسات فنية اقتصادية تستوعب المتخرجين من تخصص الدراسات المسرحية، فلا نجد أي سياسة تشجع على تكوين الممثلين أو المخرجين أو المهنيين في مهن فنون العرض المسرحي تحت الطلب، وهذا هو روح نظام الأملدي الذي يعتمد على الشراكة بين المؤسسات الاقتصادية والمؤسسات الأكاديمية، فالأولى توفر المنصب والثانية توفر الكفاءة البشرية.

ومن خلال المعاشية اليومية للممارسة الفنية المسرحية التي يتداخل فيها الهاجس التطبيقي الإبداعي بالأسئلة النظرية نجد أنه قد تولدت الحاجة لربط التجربة بالبحث الأكاديمي وإعطائها عمقا معرفيا أوسع وأشمل، وذلك بالاشتغال على النظريات الكبرى المؤسسة للمسرح وقراءتها بأدوات منهجية حديثة وفي الوقت نفسه استشراف آفاق نظرية من خلال اقتراح نماذج ومناهج للتكوين، إضافة إلى هذا فإن إهمال مفهوم التقييم والتقويم للتجربة المسرحية في الجزائر أثر بالغ في ركود النشاط المسرحي، فالتقييم يظهر الخلل والتقويم يصلحه، وإذا لم نقم بهذه الأدوار فسنبقى في حلقة مفرغة .

8 أسس التخطيط لفعل مسرحي معرفي ومؤثر:

يقول كاتب ياسين في حديثه عن أهمية المسرح في نشر الثقافة والهوية الوطنية: " يحتل المسرح موقعا محوريا في العمليات والهيكل الرامية إلى نشر ثقافة جذابة ذات نوعية قادرة على تلبية الحاجيات الإيديولوجية والجمالية للمواطن، فعملية تحويل الإنسان ليست أقل ضرورة من عملية تحويل الوطن"²¹، لهذا وجب أن يتسلح المتصدي للتكوين في مجال الدراسات المسرحية بقدر مهم من التكوين حتى يستطيع إفادة من يكونهم نظريا وتطبيقيا، ولن نجد مكانا أحسن من الجامعة لفعل هذا.

كما أن إعداد حاملي شهادة الليسانس أو الماستر وحتى الدكتوراه في المسرح تتطلب مجموع من الآليات منها وجوب إدراجها ضمن إطار فلسفي، اقتصادي واجتماعي يحدد على ضوء الاختيارات والقيم الأساسية للمجتمع، من خلال التركيز على تعريف دقيق للاحتياجات والطموحات السوسيوثقافية²². انطلاقاً من هنا يجب التركيز على الجانب التطبيقي في التكوين، وذلك من خلال تكوين المكونين، وأن لا يقتصر التكوين في المجال المسرحي على الجانب النظري بل يجب أن يتعدى ذلك إلى الجانب التطبيقي في كل مهن فنون العرض من تمثيل وسينوغرافيا وإخراج وكتابة درامية، كما يجب العمل على إقناع الوزارة الوصية –وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- بأهمية مخابر البحث في مجال الفنون عامة والمسرح بصفة خاصة حتى يكون لها دعم مادي خاص، مع وضع المخابر أمام مسؤولياتها البحثية والتكوينية.

ومن المهام المنوطة بأهل التخصص في الجامعة الجزائرية العمل على تحفيز الطلبة للتوجه إلى تخصص المسرح من خلال مجموعة من الآليات أولها التركيز على تجسيد مشروع البكالوريا الفنية فعليا على أرض الواقع، رفع الذائقة الفنية عند الطلبة من خلال تفعيل المسرح الجامعي على مدار السنة حتى تتكون فكرة جمالية عندهم حول تخصص المسرح.

ومن أهم الأسس التي يجب العمل عليها على المدى المتوسط والبعيد هو إدخال المسرح إلى المنظومة التربوية كنشاط وكمادة مستقلة بذاتها من أجل إنتاج جيل ذواق لفن المسرح إن على مستوى الإبداع أو التلقي، حتى نُكَوِّن في المستقبل متلق واع وذواق وكذا مبدع يعرف قيمة المسرح، وهذا يساعد على الرفع من مستوى وعي الأفراد في المجتمع، ويساعد على تحريك الاقتصاد الثقافي على المدى المتوسط والبعيد. كما يجب إعادة النظر في مشاريع التكوين في المسرح سواء في المرحلة القاعدية –مرحلة الليسانس والماستر- من خلال تكييف المقاييس مع طبيعة التخصص والاعتناء أكثر بالتطبيق وجعله هو الركيزة الأساسية في التكوين. وفي مرحلة ما بعد التدرج أو الدراسات العليا يجب دراسة ما يحتاجه سوق الشغل قبل فتح أي مشروع في الدكتوراه.

وفيما يخص علاقة الجامعة بالحيط الاقتصادي والاجتماعي، يجب الاعتماد على الطاقات المسرحية الجيدة في مهن فنون العرض (إخراج تمثيل، سينوغرافيا،... الخ) من خارج الجامعة سواء من المسارح الجهوية أو دور الثقافة أو الجمعيات الناشطة وحتى من خارج الوطن لتقديم تكوين تطبيقي جيد للطلبة، وذلك من خلال آليات براغماتية تجعل الجامعة تستفيد من هذه الطاقات الإبداعية، وكذلك يجب إيجاد طريقة قانونية تجعل هذه الطاقات المكونة تستفيد ماديا حتى نغريها بالدخول إلى الجامعة وإعطاء عصارة إبداعهم فتستفيد الجامعة وتفيد.

وأخيرا وليس آخرا توسيع الاهتمام بالأسئلة المتصلة بالأدب والفكر - من جهة - لما لها من أهمية في الارتقاء بمستوى مضامين النصوص، ثم بالجسد والحياة اليومية (الدرس السوسيوولوجي والسيكولوجي) من جهة أخرى، بوصفهما الكفة الثانية المرجحة لجودة النتاج الفني.

9 خاتمة:

إن أهمية التكوين الأكاديمي في تخصص المسرح تدفع إلى ضرورة الدراسة المتأنية والشاملة للمعارف البيداغوجية والفنية التي تقدم لطلبة المسرح، وكذا التركيز على طرق التعليم والتعلم حتى يصبح التكوين الأكاديمي مصدرا أساسيا ورافدا مهما من روافد الصناعة المسرحية في المجتمع، ولا يتم ذلك إلا بالاهتمام علميا بالمعارف التي تقدم إلى الطلبة المتكويين سواء بيداغوجيا أو منهجيا وحتى تقنيا وفنيا.

ومن جهة أخرى فإن توجيه الطلبة لتخصص المسرح يجب أن يكون وفق معايير علمية وأخرى فنية باعتماد نظام المقابلات والمسابقات للرفع من مستوى التكوين وحتى تكون الرغبة والموهبة هي المحدد الأول والأساسي للتوجه لهذا التخصص. كما لا يجب إهمال نقطة جد مهمة في عملية التكوين، وهي ضرورة تكوين المكونين تطبيقيا من خلال إيجاد آليات علمية كالتربصات خارج الوطن التي يجب أن تستثمر بطريقة إيجابية تجعل من المكون مساهما فعالا في العملية التعليمية وتضعه أمام مسؤولياته البيداغوجية والعلمية والأخلاقية.

ويجب كذلك عقد وتفعيل اتفاقيات شراكة بين مختلف القطاعات الفاعلة في الحقل الثقافي والتربوي (وزارة التربية، وزارة الثقافة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة السياحة، وزارة الشبيبة والرياضة) يتم من خلالها تقديم طلبية في المستوى تستفيد منهم القطاعات الأخرى ثقافيا واقتصاديا.

ونقطة أخرى مهمة جدا وهي دعم المشاريع الفنية اقتصاديا خارج أسوار الجامعة من خلال وضع آلية تجعل المتخرج من الجامعة بشهادة في تخصص المسرح يستطيع تأسيس مؤسسة صغيرة أو متوسطة في مختلف مهن فنون العرض. ويكون هذا على المدى المتوسط والبعيد.

ويبدو في الوقت الراهن ومن خلال الظروف التي يعرفها مجال التكوين في المسرح الأكاديمي أنه يجب العمل على وضع استراتيجيات متأنية للتكوين، من أجل الوصول إلى تغيير جذري من خلال معرفة التحدي الحقيقي الذي يواجه التكوين المسرحي في الجامعة الجزائرية وكذا الاهتمام الميداني والفعلي للدولة بكل مؤسساتها بهذا الميدان، وإبعاد جميع الطفيليين وغير المؤهلين عن مراكز التكوين ومراكز القرار.

10 الهوامش:

- ¹- ينظر هنينج نيلمز، الإخراج المسرحي، ترجمة أمين سلامة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1961، ص114.
- ²- ينظر ألكسندر دين، أسس الإخراج المسرحي، ترجمة سعدية غنيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 173 عن أحمد الشرجي، التكوين في العرض المسرحي، مجلة إيلاف، العدد 8709. <https://elaph.com/Web/Archive/1055083948300425200.htm> تاريخ الزيارة، 2025/03/01.

³- مصطفى كاتب، من المسرح الجزائري إلى المسرح الوطني الجزائري، إعداد وترجمة، مخلوف بوكروخ، شريف الأدرع، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 61.

- ⁴ - عن مداخلة للدكتور عيسى رأس الماء، ورشة إصلاح المسرح، وزارة الثقافة، ملتقى وطني حول إصلاح المسرح، 2022/07/22.
- ⁵ - للتعرف أكثر على طبيعة التكوين في الجامعة الجزائرية في مجال المسرح، ينظر إلى مختلف الجرائد الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ابتداء من سنة 2008.
- ⁶ - أبو الحسن سلام، فنون العرض المسرحي ومناهج البحث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003، ص 22.
- ⁷ - ينظر عبد الله إبراهيم يوسف، الإصلاحات التربوية لمواجهة متطلبات العصر، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2004، ص 27، عن برجى عبد الفتاح، المسرح وأسلوب التعليم في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2017/2018، ص 114.
- ⁸ - ينظر برجى عبد الفتاح، المسرح وأسلوب التعليم في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2017/2018، ص 114.
- ⁹ - ينظر أبو الحسن سلام، فنون العرض المسرحي ومناهج البحث، المرجع السابق، ص 23.
- ¹⁰ - ينظر أبو الحسن سلام، المرجع السابق، ص 23.
- ¹¹ - ينظر لخضر لكحل، فرحاوي كمال، أساسيات التخطيط التربوي النظرية والتطبيق، وزارة التربية الوطنية، الجزائر 2009، ص 115، عن برجى عبد الفتاح، المسرح وأسلوب التعليم في الجزائر، المرجع السابق، ص 119.
- ¹² - ينظر، برجى عبد الفتاح، المسرح وأسلوب التعليم، المرجع السابق، ص 127.
- ¹³ - ينظر أحمد مداني، تعليمية اللغة العربية من منظور اللسانيات الحديثة والطرائق التربوية، مجلة التعليمية، مجلد 4، عدد 10، 2017، ص 121
- <https://asjp.cerist.dz/en/article/27527>
- ¹⁴ - عن مداخلة للدكتور عزوز بنعمر، ورشة إصلاح المسرح، وزارة الثقافة، ملتقى وطني حول إصلاح المسرح، 2022/07/22.
- ¹⁵ - ينظر مصطفى كاتب، من المسرح الجزائري إلى المسرح الوطني الجزائري، إعداد وترجمة، مخلوف بوكروح، شريف الأدرع، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 61.
- ¹⁶ - ينظر مصطفى كاتب، من المسرح الجزائري إلى المسرح الوطني الجزائري، المرجع نفسه، ص 64.
- ¹⁷ - ينظر عيسى رأس الماء، ورشة إصلاح المسرح، المرجع السابق.
- ¹⁸ - عن مداخلة للدكتور بوكراس محمد، ورشة إصلاح المسرح، وزارة الثقافة، ملتقى وطني حول إصلاح المسرح، 2022/07/22.
- ¹⁹ - ينظر عزوز بنعمر، ورشة إصلاح المسرح، المرجع السابق.
- ²⁰ - ينظر مصطفى كاتب، من المسرح الجزائري إلى المسرح الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص 90.
- ²¹ - ينظر مصطفى كاتب، من المسرح الجزائري إلى المسرح الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص 90.
- ²² - ينظر مصطفى كاتب، المرجع نفسه، ص 87.

11. قائمة المراجع:

- أحمد الشرجي، التكوين في العرض المسرحي، مجلة إيلاف، العدد 8709،
- أبو الحسن سلام، فنون العرض المسرحي ومناهج البحث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003، ص 22.
- ألكسندر دين، أسس الإخراج المسرحي، ترجمة سعدية غنيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 173
- برجى عبد الفتاح، المسرح وأسلوب التعليم في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2017/2018، ص 114.
- مصطفى كاتب، من المسرح الجزائري إلى المسرح الوطني الجزائري، إعداد وترجمة، مخلوف بوكروخ، شريف الأدرع، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 61.
- لخضر لكحل، فرحاوي كمال، أساسيات التخطيط التربوي النظرية والتطبيق، وزارة التربية الوطنية، الجزائر 2009، ص 115
- عبد الله إبراهيم يوسف، الإصلاحات التربوية لمواجهة متطلبات العصر، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2004، ص 27،
- هنينج نيلمز، الإخراج المسرحي، ترجمة أمين سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1961، ص 114.
- ورشة إصلاح المسرح، وزارة الثقافة، ملتقى وطني حول إصلاح المسرح، 2022/07/22.
- تاريخ الزيارة، <https://elaph.com/Web/Archive/1055083948300425200.htm>
- <https://asjp.cerist.dz/en/article/27527>